

بوتين في السعودية والإمارات زيارة تؤسس لشراكة جديدة بين قوى صاعدة في عالم متغير



الأحداث تتحرك ضمن سياق قوى إقليمية معادية، جعلت من الفوضى بوسيلة تضبط على وقعها معالم مستقبل مليء بالصراعات وعامر بالمفاجآت، ومرشح لكل أنواع التشطي والفرقة والتفكك. وفي هذا السياق، يأتي تعزيز التفاهات العربية الروسية كخطوة لا بد منها، ما دام الاتحاد الأوروبي لم يقدم شيئاً إلى حد الآن لآليات المنطقة الحادة، والحليف الأميركي لم يقدم شيئاً يذكر في أكثر اللحظات خطورة، غير إجابة المرواغات اللغوية.

محددات الشراكة ومركزاتها

أهداف روسيا والسعودية يمكن وصفها حالياً بالأهداف المرننة والتكتيكية. فالرؤية السعودية الجديدة (رؤية 2030) معنية بالانفتاح على مشروع بناء قدرات العالم، ومنها روسيا الاتحادية والصين والهند باعتبارها قوة تامين رأس المال الوطني المناح والاستثمار فيه، والانفتاح على ثقافات وإقامة علاقات وتحالفات جديدة.

ومن ثم، تسعى إلى تحقيق استراتيجية للتواصل مع القوى الدولية المؤثرة ومختلف القوى الصاعدة في العالم، ومنها روسيا الاتحادية والصين والهند باعتبارها قوة تامين إضافية واحتياطية للسلم العالمي بجانب تحالفاتها التقليدية المعروفة.

وإعلاء مستوى المصالح والشراكات والاستثمارات مع هذه الدول شبه القارية، يعزز مكانة السعودية الإقليمية والدولية، فهي كدولة رائدة في العالمين العربي والإسلامي منوطة بتحريك جهود الحل السياسي، ولعب دور رئيسي فيه، وذلك من أجل دعم تسويات في موضوعات سوريا واليمن والعراق وليبيا وفلسطين، مما يستلزم الإحاطة بسلسلة تحالفات داعمة لسياستها ومنتفهمة لها.

وتعد تجارة الطاقة من مرتكزات التعاون السعودي الروسي. ومن المرجح أن يرتفع حجم التبادل التجاري بين روسيا ودول الخليج إلى أكثر من 7 مليارات دولار في ظرف وجيز.

وبدأت هذه العلاقات الاقتصادية تتخذ تطوراً على المستوى السياسي بإذابة الجليد التاريخي. وتتجاوز كل القيود الضاغطة عليها بحكم ارتفاع منسوب البراغمة وتراجع العوامل الأيديولوجية عند قيادات البلدين.

ويمهد هذا التطور لبلوغ مستويات متقدمة من التعاون المستدام على مختلف المستويات. وإلى جانب الأبعاد الاقتصادية والسياسية، يأتي أيضاً تعزيز على مستوى الروابط التاريخية والدينية كأحد أبرز الأسباب. فالمسلمين الروس (نحو 20 مليون مسلم في روسيا، ينتشرون في القوقاز الروسي) ارتباطاتهم التقليدية بالمنطقة العربية.

د. حسن مصدق
أستاذ في جامعة فانسين
باريس 8

استقبال العاهل السعودي الملك سلمان بن عبدالعزيز وولي عهده الأمير محمد بن سلمان الاثنين، في قصر اليمامة بالرياض، الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، الذي يزور المملكة للمرة الأولى منذ 12 عاماً. تتجاوز زيارة بوتين للسعودية، ومنها طير إلى الإمارات، البعد الثنائي في العلاقات التقليدية بينهما لتؤسس لشراكة جديدة بين قوى صاعدة في محيط وعالم متغيران.

شهدت العلاقات الروسية-السعودية تطورات ملحوظة منذ أن قام الأمير محمد بن سلمان في يونيو 2015 بزيارة أولى رسمية لروسيا، سعى خلالها إلى إعطاء الدبلوماسية السعودية قوة إضافية تتناسب والمتغيرات التي تؤثر في العلاقات الدولية.

تلت تلك الزيارة، زيارة الملك سلمان في عام 2017 التي توجت بإنشاء صندوق استثماري بـ10 مليارات دولار. واعتبرت خطوة جادة نحو التحول في علاقات البلدين في مجالات استراتيجية تشمل الطاقة والمعادن والتكنولوجيا، والفضاء والتعاون المصرفي وقطاع الزراعة والصناعة.

روسيا تسعى إلى أن تكون علاقتها مع السعودية تحديداً مدخلا لضمان استقرار مناطق آسيا الوسطى

فتح ذلك المجال أمام شراكة سعودية روسية عززت الاستقرار والثقة في أسواق النفط العالمية. وتوجت مقتضياتها باحترام غير مسبوق بين كبار المنتجين لحصص الإنتاج المقررة، مما أضفى ثقة ومصداقية في الشريكين على المستوى الدولي لأن تحالف أوبك+ لعب دوراً مهماً لصالح الدول المنتجة، وفي استقرار السوق الدولية.

ويضاعف هذا الرصيد الجيد في العلاقات، مع الجولة الجديدة للرئيس الروسي إلى السعودية والإمارات. وتحمل لقاءات بوتين مع المسؤولين في السعودية والإمارات رهانات كبيرة لما للشريكين من دور بارز في تفعيل الحضور العربي.

وسيكون للملف السوري دور حاسم في الزيارة، خاصة في ظل الاعتداءات التركية على السيادة السورية، والتي نددت بها الرياض وأبوظبي. ولا شك أن أوضاع المنطقة المستجدة تقتضي تفاهات ومعدلات جديدة مع روسيا، لأن

زيارة متعددة الأبعاد

مجلس التعاون الخليجي في إيجاد حل سياسي للصراع السوري.

وحتى لا تبقى العلاقات الروسية-السعودية-الإماراتية حبيسة المصالح الاقتصادية، حرصت روسيا على عدم وضع بيضها كله في سلة إيران وتركيا، وإنما أصبحت تردد بأنها منفتحة على كل الدول والمصالح الأخرى.

يشير رصد كثر ونوعية التقدم الذي شهدته العلاقات السعودية الروسية

بان المستقبل الممكن لعلاقات الدولتين سيعرف تطورا ملموسا، ومنه أن هناك إمكانية لأن تقدم روسيا دعماً للسعودية في مجالات مختلفة، ومنها في مجال استغلال الطاقة النووية وبناء مفاعلات، وتمكين العرب من امتلاك تكنولوجيا نووية ما تزال القوى الكبرى تصر على حرمانهم منها.

البوتينية الحالية تذكر بأن قوام العلاقات بين الدول يجب أن يمر عبر احترام سياسة الدولة، وتكريس السلام الداخلي والأمن الوطني، وهي بذلك لا تحبذ تعريض المجتمعات للنفسخ الداخلي تحقيقاً للمطالب بالديمقراطية التي ينادي بها الغرب دون مراعاة لخصوصية هذا المجتمع أو ذلك، بإطلاق العنان للحريات الفردية على حساب الحقوق الجماعية.

وبالتبع، حرص الجانب الروسي في الأونة الأخيرة بتقديم رؤية أكثر توازناً واعتدالاً، تعي خطورة عدم النظر إلى المصالح العربية في سوريا، وخطر الانزلاق هذا البلد إلى مسار جيوسياسي يضر بالأمن القومي العربي باصطفاه مع إيران واستفراء هذه الأخيرة به، لذلك ظهرت محاولات عديدة لإشراك دول

صفحة جديدة مع الدول العربية، وأن تلعب السعودية والإمارات العربية دوراً أكثر فعالية.

وترى روسيا الفرصة سانحة في ظل الفراغ الاستراتيجي الناتج عن تراجع الدور الأميركي وتذبذب سياساته في الشرق الأوسط، ومن ثم فهي محتاجة إلى الشريك السعودي والإماراتي وتطوير العلاقة معهما لإحداث علاقة نوعية في علاقاتها مع بقية الدول العربية. وفي المقابل على العرب فهم

دوافع وجود روسيا ومحدداتها في مياه المتوسط وسوريا، فضلاً عن مساعدتها في إعادة هندسة دورها في الشرق الأوسط لكي يكون متوازناً ويراعي المصالح العربية الاستراتيجية.

ثمة تلاقح بين سياسة موسكو وسياسة الدول العربية، فالسياسة

وترغب روسيا بأن تكون علاقاتها مع السعودية تحديداً مدخلا لضمان استقرار مناطق آسيا الوسطى، ولهذا السبب أصبحت روسيا عضواً مراقباً في منظمة التعاون الإسلامي، وبدعم مباشر من المملكة العربية السعودية. وهذا يبشر بالتدريج بمرحلة أكثر تفهماً وأعمق تعاوناً وأوسع نطاقاً. فهي تترك بان مركز الثقل الديني موجود في مكة، وهي في حاجة ماسة إلى تعزيز علاقاتها الثقافية مع الرياض.

عالم متعدد الأقطاب

تسعى روسيا إلى ترسيخ سياسة أوراسية تعني بعالم متعدد الأقطاب، لكي تضمن عودتها كلاعب دولي في نظام يعاد تشكيله. لذلك تريد فتح

موسكو تقترب من محور السلام والتنمية في الشرق الأوسط

مثلت الإمارات والسعودية ومصر يدعم توجهات روسيا على قاعدة المنافع المتبادلة

مع كل من الولايات المتحدة وروسيا والصين، وهو ما فتح الباب للحديث بارتياح عن تقدم ملموس سوف يشهده علاقات موسكو في المنطقة من دون أن يؤثر ذلك على الثوابت المعروفة مع واشنطن وغيرها.

يرتهن جزء من التحولات العالمية بقدر المساهمة المادية في حقل التنمية والسلام، ويمكك بوتين رغبة كبيرة في تعزيز دوره الإقليمي عبر تحركات تقود باقتدار إليهما. فلا يقتصر عقد الدور القائد لأي دولة كبيرة بعيداً عن مشاركة واضحة في المجالين الواسعين. ولدى موسكو نوايا وإرادة وعزيمة للدخول فيهما، ومحاولة إخماد الحرائق المشتعلة التي أفضت إلى التدهور في مفاصل كليهما.

ولن تجد روسيا أفضل من الدول الثلاث، الإمارات والسعودية ومصر، كقواعد أساسية يمكن الاعتماد عليها، بحكم ارتفاع منسوب الأمن والاستقرار في كل منهما، وتضاعف الأدوار الإيجابية

في أزمات مختلفة. وظهرت بصمات أبوظبي والرياض في منطقة القرن الأفريقي من خلال تحقيق السلام بين إثيوبيا وإريتريا، والبحث عن الهدوء في الدول المجاورة، وتشجيع المشروعات التنموية ذات العوائد المحيية في

موسكو مواقف وعارضت أخرى قامت بها دمشق أو طهران. ولاحظنا أن واشنطن تشجب وتفاوض وتماطل، وقبضها على زمام أمور كثيرة في الأزمات. وعقدت صفقات تسليحية مع الدول الثلاث، وتطمح لموازنة كل ذلك بتحركات سياسية، بدأتها بتفاهات كبيرة مع مصر ثم عقد تحالف استراتيجي معها، وتجد الفرصة المواتية لاستكمال المسيرة مع حلفي القاهرة؛ الإمارات والسعودية.

تقرب القمة الروسية-الأفريقية يومي 23 و24 أكتوبر الجاري في موسكو بوتين من أزمات القارة الأفريقية، التي هي محل اهتمام كبير من السعودية والإمارات ومصر

كسر بوتين، وغيره من الساسة في العالم، حلقات رئيسية في هذا المضمار، خففت العبء على بعض الدول، وشجعت قادتها للدرجة التي صارت فيها علاقات كل من الإمارات والسعودية ومصر ممتازة بالتوازي

ونجحت موسكو في استعادة لياقتها العسكرية في الشرق الأوسط السنوات الماضية من خلال تدخلها في سوريا وقبضها على زمام أمور كثيرة في الأزمات. وعقدت صفقات تسليحية مع الدول الثلاث، وتطمح لموازنة كل ذلك بتحركات سياسية، بدأتها بتفاهات كبيرة مع مصر ثم عقد تحالف استراتيجي معها، وتجد الفرصة المواتية لاستكمال المسيرة مع حلفي القاهرة؛ الإمارات والسعودية.

يرفع التعدد الظاهر في العلاقات الدولية الجرح عن جميع الدول ويسمح بالانفتاح، فلم يعد التحالف مع دولة في الغرب يحول دون التحالف مع أخرى في الشرق أو العكس. ووفر هذا التطور في الأدبيات السياسية مزايا كثيرة لبعض الدول التي كانت ترهن علاقاتها بدولة كبرى واحدة تقريباً، وتجد مازقاً في مس خطوطها مع أخرى منافسة. والأكثر من ذلك أنه يمكن التقارب والاختلاف في آن واحد مع قوة كبرى أو متوسطة أو صغرى في أزمة يعينها، بما لا يفسد العلاقة الودية ويدخلها آقية مختلفة.

كشفت الأزمة السورية وتعقيداتها، والمواقف الإيرانية المستفزة، عن جوانب معتبرة في هذا التوجه، حيث أبدت

والرياض، وإذا أضفيت إليهما القاهرة كضلع ثالث، بكل ما تملكه من رصيد تاريخي مع موسكو، ربما تصبح المنطقة مقبلة على تطورات نوعية.

يحاول بوتين ملء الفراغ السياسي الذي تسبب فيه تذبذب مواقف الإدارة الأميركية وغموضها أحياناً بشأن التعامل مع بعض القضايا الإقليمية.

والتي تتجاوز حدود عقد الصفقات الاقتصادية والعسكرية، فقد بدت تصريحاته قبيل الزيارة منصبة على فكري التنمية وتعليم المكاسب المشتركة، وتغليب الحلول السياسية كوسيلة للأمن والاستقرار والسلام. الأمر الذي يتماشى مع التحركات الحثيئة التي تقوم بها أبوظبي

محمد أبو الفضل
كاتب مصري

فتحت زيارة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين لكل من السعودية والإمارات أفقا جديداً في مقارباته المتدرجة في منطقة الشرق الأوسط،



الإمارات نقطة ارتكاز في مساعي موسكو دعم العلاقات الروسية العربية